مقال

العقائدية القاصرة ومعارك السلفية المعاصرة

مصطفى البدري

مركز الشيخ
علي الغريباني للكتاب

◆ مقدمات لابد منها:

- **«العقائدية القاصرة»** اسم كتاب نُشر حديثًا لمؤلفه الأخ الباحث: **شريف محمد جابر.**

وهو (الكتاب) يتكلم بالتفصيل عن الفكرة الأساسية لهذا المقال، وسواء اتفقت مع الكاتب في كامل طرحه أم وقع الاختلاف في بعضه؛ يبقى أنه قد عبر بشكل متميز عن أصل الموضوع الذي أتكلم فيه، لذلك ذكرت الاسم في عنوان المقال.

- محدثك في هذا المقال تربى داخل المعسكر السلفي، وتشرب أصوله وعشق قواعدَه، كما أنني عاصرتُ نشأة **الفكر المدخلي** (أبرز الممثلين للعقائدية القاصرة) وتدرُّجَ انحرافه، حتى وصل إلى درجةٍ لم يكن أشدُّنا تشاؤمًا يتوقعها أو يتخيلها.

- السلفية نسبة إلى السلف الصالح، وهم أهل القرون الثلاثة المفضلة (الصحابة والتابعون وتابعو التابعين)، وهم المقصودون بالحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**». فمن سار على نهجهم واقتفى أثرهم.. فهو سلفي.

وهي في حقيقتها تدعو إلى الإسلام الصافي النقي من أدران الشرك والخرافات والبدع والمنكرات، وتعزز في شخصية المسلم مفهوم الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين، ونبذ التعصب للأشخاص والأسماء واللافتات.

- الصراع (**السلفي الأشعري**) القائم حاليًا قام بتأجيجه مجموعات من الطرفين، لكني آثرت أن أتكلم فقط عن الطرف الذي أحمل فكره ومنهجه (السلفي) من باب إصلاح البيت من الداخل؛ وأترك الطرف الآخر لعقلائه، عسى أن ينظر الجميع لمصلحة الأمة وتجنيب المصالح الفئوية أو تأجيلها.

◆ المقصود بالعقائدية القاصرة

باختصار: هم طوائف وأفراد وجماعات من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، يزعمون أنهم حملة لواء العقيدة والمدافعون عن جناب التوحيد؛ في حين أنهم تركوا لُبّ العقائد وتشبثوا بالأطراف! أعرَضوا عن الأصول وانشغلوا بالفروع! قصّروا في أركان الإيمان المتفق عليها وثوابت التوحيد المنصوص عليها والمعمول بها واهتموا بزيادات وإضافات أحدثتها ظروف تاريخية عارضة!!

فأخذوا أتباعهم بعيدًا عن المقاصد الكلية لدين الإسلام: {**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون / وكفى بالله شهيدًا**}؛ وتركوا ساحات الصراع بين الإسلام وأهله من جهة والكفر بكل ملله وطوائفه من جهة أخرى.. وأججوا ساحة الصراع الإسلامي الإسلامي!! ثم ضيقوا الدائرة لينشأ الصراع السّنّي السني!! وما فتؤوا أن صنعوا ساحة صراع سلفي سلفي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي خضم هذا العبث والسفه يخرج أهل الصلاح والإصلاح ليحاولوا ضبط البوصلة وإعادة توجه الدفة تجاه الأعداء؛ فكان من ضمن هذه الجهود المباركة الكتاب الذي صدر حديثًا بعنوان:

العقائدية القاصرة.. من هامش الجدل العقائدي إلى متن الاتفاق الإيماني؛ لمؤلفه الأخ الكريم والباحث المتميز الأستاذ/ شريف محمد جابر.

وقد شرفتُ باستضافته ومحاورته علنًا ضمن اللقاءات التي ينظمها مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب، وقد تم نشر اللقاء بفضل الله على اليوتيوب وبقية مواقع التواصل الاجتماعي.

◆ معارك السلفية المعاصرة

ظهـر هـذا التيـار حال وجود حركات إسـلامية إصلاحيـة -تنتمي فـي الجملة إلى عقيـدة أهل السـنة والجماعـة- تهـدف لاسـتعادة الخلافة الإسـلامية وإعلاء حاكميـة الشـريعة، وبـدلًا من مسـاعدتهم في تحقيـق هذا الهدف الـذي يحلم بـه كل مسـلم، بـدأوا فـي تدقيـق النظر إليهـم، واسـتخراج ما اعتقـدوا أنه من أخطائهم وعيوبهم، ثم سـلطوا الضوء عليها وجعلوها هي الأصل؛ دون النظر أو الإشـارة إلـى غاياتهـم وجهودهم التي شـهد بها الأعداء قبـل الأصدقاء!!

ثـم عـادوا إلى هـذه العيوب والأخطـاء فصنفوهـا تصنيفًـا عقائديًّـا، وحكموا عليهـا بأنهـا بدعٌ أصليـة، حتى وصلوا في نهايـة المطاف لإخراج هـذه الحركات من مسـمى أهـل السـنة والجماعة!!

وبالطبـع هـذا مسـوغ كاف (عندهـم) لتـرك **الحـرب علـى الإلحـاد ودعوات التنصيـر والنسـوية والشـذوذ الجنسـي فضـلًا عـن المحتليـن لبلادنـا وأتباعهـم مـن الحـكام المحاربين للشـريعة**... والانشـغال فقـط بمحاربة هـؤلاء (المبتدعـة الضالـون المنحرفـون).

فبـدأت فكـرة الصـراع الإسـلامي الإسـلامي التـي كانـت -حـال قـوة الدولـة الإسـلامية- بيـن أهـل السـنة وأصحـاب البـدع العقائديـة تتحـول إلـى معارك ضاريـة داخـل دائـرة المنتمين لأهل السـنة، وبمـا أن الكثيرين من المنتسـبين للسـلفية لـم يعجبهـم هـذا التحـول لدفة الصـراع، شـن أصحـاب **العقائدية القاصـرة** معـارك فكريـة وعلميـة ضدهـم حتى طردوهـم من رحمة السـلفية وأخرجوهـم أيضًـا من دائـرة أهل السـنة!!

ليـس لأنهـم وقعوا في بـدع، لا لا؛ بل لأنهم أثنـوا على أصحاب البـدع، ونقلوا عنهـم بعـض كتاباتهم الموافقة لمـا هم عليه.

ودخلنا بسبب هؤلاء في دوائر من المعارك التي لا تنتهي ولا تقف عند حد معين؛ حتى وصلوا إلى أن حارب بعضهم بعضًا بسبب بعض خلافات فقهية أحيانًا وبسبب تعدد الآراء في تصنيف المخالفين **كثيرًا**.

◆ المعركة الأولى: قضية الحكم بغير ما أنزل الله.

لا يخفى على مسلم فضلًا عن باحث أو طالب علم أهمية موضوع الحكم بما أنزل الله، وقد كثرت بشأنه النصوص الواضحة في القرآن والسنة، بما يدل على أنها من لب قضايا العقيدة؛ والذي فعله هؤلاء أنهم أقاموا معركة كبرى مع كثير من العلماء والدعاة الذين حاولوا إبراز هذه القضية ودعوة الحكام للالتزام بثوابت الشريعة!!

ومعلوم -في مثل هذه الأحوال- أن دور العلماء هو بيان الحق للحاكم والمحكوم، والوقوف في وجه الظالم بجوار المظلوم؛ فعكسوا الأمر وقلبوا الطاولة لتوجه سهامهم فقط جهة دعاة الإصلاح والمطالبين بحقوقهم!!

◆ المعركة الثانية: إسقاط الحركات الإسلامية الإصلاحية.

لم يقتصر هجومهم على العلماء والدعاة الذين تكلموا في قضية الحكم بغير ما أنزل الله، بل تجاوزوا ذلك وضربوا حركات الإصلاح السياسي والاجتماعي المعاصرة؛ بحجة أن هذه الجماعات بدعة في ذاتها، وأنها ستؤدي في النهاية إلى التحزب المذموم!!

في حين أن فتاوى العلماء واضحة وصريحة بإمكان التعاون مع هذه الحركات والجماعات في إطار الأصلاح المنشود الذي يسعى إليه ويرجوه كل مسلم غيور فضلًا عن شيخ وداعية وعالم.

◆ المعركة الثالثة: الوعاظ والدعاة القصاصون.

في الوقت الذي تشكو الساحة الإسلامية من كثرة المعارك الداخلية، تجد هؤلاء يعيشون حالة من الفراغ التي تدعوهم لاختراع مشاكل ومعارك بلا أي سبب!!

وكان من ضمن ذلك الردود العنيفة التي صدرت من تيار **العقائدية القاصرة** ضد عدد من الدعاة المعروفين بالتزامهم المجمل بعقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة؛ إلا أن هؤلاء أبوا أن يسكتوا عنهم بدعوى أنهم قصاص غير محققين، ومن ثمّ تبدر منهم بعض الأحاديث والروايات غير الصحيحة من جهة الإسناد!! والغريب أن الباحث يجد الكثيرين من علماء الحديث المتقدمين قد صححوا هذه الروايات أو استشهدوا بها؛ لكن هؤلاء لا يقبلون إلا بتصحيح الشيخ الألباني رحمه الله، حتى لو خالف الأئمة السابقين!!

وتشعر وأنت تتابع ردودهم أنهم خصوم لفكرة التزكية والإصلاح القلبي الذي يركز عليه هذا الفريق من الدعاة؛ رغم أن التزكية أصل مركزي بارز في نصوص العقائد الواردة في الكتاب والسنة.

ولعل السيئة الكبرى التي ينبغي ذكرها هنا؛ هي تربية الشباب على الانشغال بالحكم على الآخرين، والبحث والتنقيب عن الأخطاء والزلات التي لا يكاد يخلو منها إنسان.

◆ المعركة الرابعة: قضية تأويل الصفات.

في سياق تعدد انشطارهم وانقساماهم ظهر من بينهم من يهتم بمسألة صفات الرحمن جل وعلا، التي نؤمن كما يؤمنون بلزوم الوقوف عند النص وعدم تجاوزه بتأويل أو تعطيل؛ لكن خرج من ظهور هؤلاء من

أبى إلا أن يستدعي بعض الخلافات المذهبية مبتورة عن ظرفها التاريخي، ويحاول من خلالها الطعن في أئمة وعلماء اتفقت الأمة عن بكرة أبيها على تبجيلهم واحترامهم، كما توافق العلماء طيلة قرون طويلة على النقل عنهم والاستفادة منهم ونشر كتبهم وشرحها والتعليق عليها بما لا يسمح المقام بذكر ما يكفي من الأمثلة على ذلك.

وكانت النتيجة أن تطاول فريق من السفهاء على أسماء عظيمة كالإمام النووي والحافظ ابن حجر وغيرهما بالتبديع والتضليل -وأحيانًا- بالتكفير، رضي الله عن علمائنا وأئمتنا أجمعين.

وفي حين يزعم هؤلاء السفهاء الانتساب إلى المنهج السلفي؛ نراهم في هذه المسألة قد خالفوا كل القواعد والضوابط التي وضعها علماء السلفية في الحكم على العلماء والتعاطي مع أخطائهم وزلاتهم!! وضربوا عرض الحائط بما سطره العلماء من تراجم مليئة بالمدح والثناء العطر في حق الإمامين المذكورين وأمثالهما!! بل لم يتورعوا عن رمي أسماء وقامات كبيرة كابن العطار وابن تيمية والذهبي وابن كثير وابن رجب بالجهل والقصور في الفهم، ووصلت الجرأة ببعضهم أن اتهموهم بالمجاملة خوفًا من سطوة الأشاعرة في تلك الأزمان!!

- وحيث أنني رغبت هنا في اختصار الموضوع قدر الاستطاعة؛ أود أن ألخص جوابي عن هؤلاء في نقاط، أرجو أن تكون محل اتفاق، بما ييسر على الشباب الناشئ الرجوع إليها والعمل بها عند الاختلاف:

- الدعوة للخنوع والرضا بالظلم والقهر أمر مصادم للفطرة البشرية، والإسلام هو دين الفطرة.

- إذا كان هناك كلام للسلف في المنع من الخروج على الحاكم المسلم، فإننا لم نعرف لأحد منهم أي كلام في مناصرة الحكام الظَّلَمة وتأييدهم ضد المظلومين.

وإذا كنا سمعنا عن صحابة وقفوا أمام الحسين وحاولوا منعه من الخروج إلى الكوفة، فإننا لا نعلم عن صحابي واحد أنه ناصر يزيد بن معاوية أو أيده في جرائمه.

- هناك فرق كبير بين التحذير من عواقب الخروج المسلح على الحاكم المسلم، وبين تعطيل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وجه الحاكم الظالم.

- لا يجوز بحال إبراز جانب الأدلة الذي تؤيد به رأيك في النهي عن الخروج على ولي الأمر الشرعي، ثم تتجاهل الجانب الآخر الذي يؤكد على ضرورة رفض ظلم الحكام ومنعهم من أي اعتداء على الحقوق الخاصة والعامة.

- أكثر من يستشهدون بكلامه من العلماء في هذا الباب ويزعمون الانتساب إليه هو ابن تيمية رحمه الله، وهو هو الذي دعا المسلمين للخروج على التتار المسيطرين على بلاد الإسلام ومواجهتهم بالسلاح رغم ادعائهم الإسلام، مستشهدًا بتعطيلهم الشريعة والجهاد وانتهاكهم الأعراض والحرمات.

- «ولعله الأهم عندي» لم تعرف أمة الإسلام في تاريخها الطويل حكامًا كحكام اليوم يعطلون الشريعة ويعاقبون المطالبين بها بالقتل والسجن والمطاردة، ويعطلون الجهاد ويحاربون المجاهدين ويوالون الكفار وأعداء الأمة ويناصرونهم ضد المسلمين، ومن ثم فأقوال العلماء لمنع الفتن الداخلية في ظل حكام يقيمون الشرع في الجملة، ويرسلون الجيوش لمواجهة أعداء الإسلام في شتى الجبهات (دفعًا وطلبًا)، لا يجوز ولا يسوغ تنزيل هذه الأقوال من أجل مقاصد مخالفة ومصادمة ومعاكسة للمقاصد التي قيلت من أجلها (بالطبع مع مراعاة أقوالهم في أمر القدرة والمصلحة).

- عند استدعاء أقوال السلف الصالح في شأن بعض البدع وأصحابها، لا يجوز إغفال عدة أمور:

- نشـأة البدع فـي ظل وجود بعـض الصحابة وقـرب العهد بزمـن النبوة من الطبيعـي أن يسـتنفر الطاقات لمحاولـة وأدها والقضاء عليهـا في مهدها.

- تفريق السـلف بين أهل الأهواء كغيلان الدمشـقي وواصل ابن عطاء وبشر المريسـي والجهم بن صفوان وأمثالهم وبيـن من ثبت صدقهم وإخلاصهم وعـدم تعمدهـم مخالفة الكتاب والسـنة كأمثـال قتادة بن دعامـة وعكرمة مولى ابـن عباس وغيرهما.

- إمـكان تأجيـل بعـض المعـارك لصالـح معـارك أخرى أهـم وأعظـم؛ كتلك التـي يتوجـب علينـا خوضها حاليًـا مـع المحتلين لبلادنـا وأذنابهـم من دعاة العلمانيـة والتغريـب؛ فقـد قـال علي بن أبـي طالب رضي الله عنـه للخوارج: «إن لكـم علينـا ألا نمنعكـم بيوت الله أن تذكروا فيها اسـم الله، ولا نحرمكم الغنيمـة والفـيء مادامت أيديكـم معنا، ولا نبدأكـم بقتال»

- البـدع ليسـت فـي منزلة واحـدة؛ فلابد من التفريـق بين البـدع الغليظة التي يمكـن الاتفـاق على زيـغ وضلال أصحابهـا بعد إقامـة الحجة عليهـم، وبين البـدع الدقيقـة التـي قد يقـع فيها العالم وطالـب العلم على وجـه الخطأ لا على وجـه التعمد.

والله من وراء القصد.